

**دور الأزهر في تجديد الخطاب الديني، خطاب شيخ
الأزهر الدكتور / أحمد الطيب أنموذجاً
"مقاربة حجاجية"**

أ.د. مصطفى فاروق عبدالعليم

الجامعة جامعة الأزهر - مصر

mtafa34@yahoo.com

Abstract

This study deals with the role of Al-Azhar in renewing religious discourse. The speech of Sheikh Al-Azhar, Dr. Ahmed Al-Tayeb, is a model Argument study Through a group of his speeches on his television program (Imam al-Tayyib - Ramadan 2021 AD / 1442 AH); His eminence highlighted the role of Al-Azhar in renewing religious discourse throughout the ages, and this proposal represents a mature model that allows approaching the thought of renewal according to the Sheikh of Al-Azhar. As for the method that I adopted in my studies; The method was deliberative, and this study aims to reveal the role of Al-Azhar in renewing religious discourse through the thought of Imam Al-Tayyib in his speeches, and this study was limited to (repetition, and logical mechanisms) as they are mechanisms of persuasion.

Keywords: The role of Al-Azhar, Imam Al-Tayyib, Argument study, repetition, logical mechanisms.

الملخص

تتناول هذه الدراسة دور الأزهر في تجديد الخطاب الديني، خطاب شيخ الأزهر الدكتور/ أحمد الطيب أمودجا "مقاربة حجاجية" عبر مجموعة من خطابه في برنامجه التلفزيوني (الإمام الطيب- رمضان ٢٠٢١م / ١٤٤٢ هـ)؛ إذ أبرز فضيلته دور الأزهر في تجديد الخطاب الديني، على مر العصور، ومثل هذا الطرح أمودجا ناضجا يسمح بالاقتراب من فكر التجديد عند فضيلة شيخ الأزهر. أما المنهج الذي اعتمدت عليه في دراستي؛ فكان المنهج التداولي، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور الأزهر في تجديد الخطاب الديني عبر فكر الإمام الطيب في خطابه، واقتصرت هذه الدراسة على (التكرار، والآليات المنطقية) بوصفهما من آليات الإقناع.

الكلمات المفتاحية: دور الأزهر، الإمام الطيب، الحجاج، التكرار، الآليات المنطقية.

المقدمة

تُعد نظرية الحجاج من أبرز النظريات التي تحتم بها التداولية؛ إذ إنّها ظاهرة ملازمة لنتاج الخطاب، فلا يكاد يخلو خطاب من الحجاج؛ لما له من دور في التواصل بين المخاطب، والمخاطب.

في هذا الإطار ستتناول الدراسة دور جامعة الأزهر في تجديد الخطاب الديني، خطاب شيخ الأزهر الدكتور/ أحمد الطيب أمّودجاً "مقاربة حجاجية" عبر مجموعة من خطابه في برنامجه التلفزيوني (الإمام الطيب- رمضان ٢٠٢١م / ١٤٤٢ هـ). من ثمّ كان اختياري لهذا الموضوع؛ لما فيه من طرافة وجدة، وعدم دراسته دراسة أكاديمية من قبل، إلى جانب الرغبة في تقديم دراسة تتمحور حول الحجاج ووسائل الإقناع.

لقد برزت في برنامج فضيلة الإمام الرمضانيّ تقنيات الحجاج ورافده؛ إذ كان يهدف فضيلته إلى إقناع السامعين بدور الأزهر الشريف في إبراز وسطية الإسلام، وفكر التجديد؛ رغبة في التأثير في المتلقين.

هذه الدراسة اتخذت من التداولية منهجاً للتحليل. وعليه؛ فإنّ الإشكاليات التي تطرحها الدراسة متسقة وهذا المنهج.

ومن أبرز تلك الأسئلة التي حاولت الإجابة عنها:

- ١- ما الدور الذي قام به الأزهر في إبراز وسطية الإسلام، وفكر التجديد.
- ٢- ماذا يعني الحجاج عند الإمام الطيب، وما هدفه؟
- ٣- فيم يبرز التأثير اللغوي عند الإمام الطيب؟
- ٤- ما الدور الذي قام به التكرار- في برنامج الإمام الطيب الرمضانيّ -، وما هدفه؟
- ٥- إلام تنوّعت الوسائل المنطقية في برنامج الإمام الطيب الرمضانيّ؟
- ٦- كيف بدت شخصية فضيلة الإمام عبر حجاجه؟

وإنّ من أهم المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة ما يلي:

- ١- إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، لعبدالهادي بن ظافر الشهري.
- ٢- الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكان، لعبدالله صولة.
- ٣- الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه"، لسامية الدريدي.
- ٤- الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، لعبدالله صولة.
- ٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي.

أما المنهج الذي اعتمدت عليه في دراستي هذه؛ فكان المنهج التداولي، والتداولية تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة واستعمالها وآثارها. ومن حيث معناها الضيق تطلق التداولية على التخصص أو التخصصات التي تعنى بالمكون التداولي، وعندما نتحدث عن المكون التداولي أو عندما نقول: إنَّ ظاهرة ما خاضعة لـ (عوامل تداولية) فإننا نقصد بذلك المكون الذي يعالج وصف معنى يؤول حسب السياقات، كملفوظ تحكيمي أو لا أو كدعوة لاحترام النظام أو نتيجة لمحااجة إلخ... (مانغونو، ٢٠٠٨، ١٠٠-١٠١)، إذن تُعد التداولية من أقدر المناهج على معالجة النصوص الأدبية؛ فقد أعطت عملية التواصل الأولوية في معالجتها للنصوص سواء ما يخص المرسل، والمتلقي، أم السياقات الخارجية، أم مقاصد المرسل، والأثر على المتلقي. إذ منحت النص الأدبي فضاءً واسعاً حرر النص من قيود المنهج البنيوي؛ من ثمَّ فالمنهج التداولي سمح بالكشف عن الطاقات الكامنة في النصوص الأدبية.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور الأزهر في تجديد الخطاب الديني عبر فكر الإمام الطيب في خطابه.

سوف نلقي الضوء فيما يلي من صفحات على التكرار، والوسائل المنطقية (حجج شبه منطقية، وحجج تؤسس على بنية الواقع، وحجج تؤسس بنية الواقع، وحجج تستدعي القيم، وحجج تستدعي المشترك) في برنامج الإمام الطيب الرمضاني...

المطلب الأول

التكرار

للتكرار وظيفة إيجابية فهو للتأكيد المعنوي، وللكشف عمّا بداخل النفس، أو للبرهنة على صفات مناسبة للقول، ولقد أدرك علماء النفس، والاجتماع ما للتكرار من أثر فذكروا أن لـ "التكرار تأثير في عقول المستعيرين، وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى، والسبب في ذلك أنّ الشيء المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار، وانتهى بتصديق المتكرر، إذ إنّ الشيء إذا تكرر رسخ في الأذهان رسوخاً تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة" (لوبون، د.ت، ١٣٩) ويؤدي التكرار دوراً حجاجياً مهماً؛ إذ يساعد في التبليغ، والإفهام، ويُعين المتكلم على ترسيخ الرأي في الذهن (الدريدي، ٢٠١١، ١٦٨). لقد استعان فضيلة الإمام بالتكرار في حلقات برنامجه الرمضاني في نسخته الخامسة؛ لإقناع السامعين بدور الأزهر في إبراز وسطية الإسلام وسماحته، والدعوة إلى التجديد في الخطاب الدينيّ عموماً، ولتثبيت الأفكار لدى المتلقين.

نجد في الحلقة الثانية والعشرين، يقول: "ليس من المبالغة أن نقول: إن الأزهر كان -وسيطل- قلعة الاجتهاد والتجديد" في الإسلام على مدى تاريخ المسلمين، بعد عصر الأئمة الأربعة وأئمة المذاهب الفقهية الأخرى المعتمدة، وكان تراث المسلمين قد أشرف على الهلاك بعد ما ضاع على أيدي الغزاة بالأندلس في الغرب، وبعدهما أحرقه التتار في الشرق، ولولا الأزهر لما كان هنالك ما يسمى الآن بالتراث العربي الإسلامي، وأرجو ألا تحملوا كلامي هذا على محمل الحديث عن الذات، أو الفخر بالانتساب إلى مؤسسة علمية عريقة كمؤسسة الأزهر الشريف، غير أن كلامي عن الأزهر الشريف -لأدنى ملايسة- هو من قبيل الدفاع عن عظمة الماضين...".

التكرار لكلمة الأزهر في الخطاب السابق أكد من خلاله فضيلة الإمام على القيمة العظيمة للأزهر الشريف، عبر هذه البنية التراكمية، فنجد قوله: (وسيطل- قلعة الاجتهاد والتجديد) وقوله: (لما كان هنالك ما يسمى الآن بالتراث العربي الإسلامي). كذلك تبرز القيمة الحجاجية لتكرار كلمة الأزهر إلى دفع السامع إلى تغيير سلوكه تجاه الأزهر عبر إثارة العقل، وتحريك النفس. وهذا ما أكدته فضيلة الإمام بعد ذلك في قوله: "هو من قبيل الدفاع عن عظمة الماضين التي تتعرض اليوم لجرأة أناس لا يعرفون من هم هؤلاء الذين يجترئون عليهم...".

الأزهر الشريف جمع بين التراث والمعاصرة، إذ حافظ على التراث العربي والإسلامي، مع كونه قلعة للاجتهاد والتجديد، وعلى الرغم من هذا الدور العظيم للأزهر الشريف، نجد من يسيء إلى هذه المؤسسة العظيمة ويحاول تشويهها، فجاء التكرار هنا لغاية حجاجية، جمعت بين بيان مكانة الأزهر، وإثارة عقول السامعين، والرد على الجاحدين لقيمة وقامة الأزهر الشريف.

في الحلقة الخامسة والعشرين يقول فضيلته: "حسم الأزهر الجدل الفقهي المتعلق بعدد من القضايا المعاصرة التي كان للمرأة النصيب الأكبر منها: فيجوز للمرأة تولي الوظائف العليا والقضاء والإفتاء، والسفر دون محرم متى كان سفرها آمناً، والطلاق التعسفي بغير سبب معتبر شرعاً حرام وجريمة أخلاقية، ولا وجود لـ«بيت الطاعة» في الإسلام، ولا يحق للولي منع

ترويج المرأة برجل كفاء ترضاه دون سبب مقبول، وللمرأة أن تحدد لها نصيباً ومن ثروة زوجها إذا كانت سببا في تنمية هذه الثروة." تكرر فضيلة الإمام للفظ المرأة في النص السابق، أكد على القضية المطروحة وهي سماحة الإسلام ووسطيته، كذلك دفع توهم البعض الذين يعتقدون أنّ الإسلام قلل من قيمة المرأة فيقول: (حسم الأزهر الجدل الفقهي المتعلق بعدد من القضايا المعاصرة التي كان للمرأة النصيب الأكبر منها) أو أنّ الأزهر تجاهل حقوقها فيقول (فيجوز للمرأة تولي الوظائف العليا والقضاء والإفتاء، والسفر دون محرم متى كان سفرها آمناً) كذلك أدى إلى تماسك الكلام مما يزيد من حجة فضيلة الإمام.

مع هذه الحجج التي جاء بها التكرار نجد إيقاعاً موسيقياً مالت إليه القلوب، مما يؤثر في النفوس؛ لتقبل الخطاب المطروح؛ بغية التأثير في المتلقين، فالتكرار ليس عبثاً، ولا حلية لفظية فحسب، بل يؤدي دوراً حجاجياً مهماً فيعيد قسماً، وتذكيراً، وتوضيحاً، وتأكيدياً، وكلها من وسائل الحجاج؛ لغاية تغيير واقع في ذهن المتلقي وسلوكه، إلى واقع جديد، تؤمن به نفس فضيلة الإمام الأكبر، ويصدق هذا الإيمان سلوكه اللغوي.

إنّ العبارات التي وردت في حلقات البرنامج الرمضاني لفضيلة الإمام كافة، تبرز وسطية الإسلام وسماحته، والرغبة في تجديد الخطاب الديني، وهي من باب التوكيد المعنوي الذي يهدف إلى الدفاع عن الإسلام، والرد على من حاول تشويه صورته.

لقد اعتمد فضيلة الإمام في إقناع السامعين، على العرض اللغوي لموضوعه الحجاجي بتكراره وصياغته صياغة موازية، وإلباسه موسيقياً ذات إيقاع متكرر، فالحلقات تتوالى فيها التأكيدات اللفظية، والمعنوية بصورة منتظمة هدفها إقناع المتلقين؛ بما للتكرار من آلية في نتاج المعنى، فالتكرار يساعد على إقناع المتلقين كافة، باختلاف مستوياتهم الفكرية، والعقلية.

المطلب الثاني

الآليات المنطقية

تُعد الوسائل المنطقية من أهم أدوات عملية الإقناع، وقد استعان بها فضيلة الإمام أثناء طرح خطابه؛ بغية إكسابه طاقة حجائية، ونعني بالوسائل المنطقية: جملة الأساليب التي تعتمد قوانين المنطق، والتي تؤدي إلى إقناع المتلقي بما طرح عليه من أفكار، وما عرض عليه من آراء. (الدريدي، ٢٠١١، ١٧٥) وسوف نعلم في دراستنا هذه على تصنيف (برلمان)، و(تيتكاه) في كتاب (مصنف في الحجج: الخطابة الجديدة)، وهو ما استخرجه عبدالله صولة في كتاب: (أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، وكذا اعتمده سامية الدريدي في كتابها (الحجج في الشعر)، واعتمده الكثير من الباحثين، وهذه الأصناف هي: (صمودي، د.ت، ٣٢٤ - ٣٤٨)

١. حجج شبه منطقية.

٢. حجج تؤسس على بنية الواقع.

٣. حجج تؤسس بنية الواقع.

٤. حجج تستدعي القيم.

٥. حجج تستدعي المشترك.

سنكتفي بأ نموذج واحد لكل صنف من الأصناف السابقة؛ إذ لا يسعنا في هذه الدراسة الوجيزة الوقوف على أنواع كل صنف من الأصناف السابقة، والتدليل عليها من برنامج فضيلة الإمام الرضائي.

١- حجج شبه منطقية

الحجج شبه المنطقية تستمد قوتها من الإقناع، وتتخذ قالباً منطقياً شكلياً فيه تحشر المعطيات، وتُكَيَّف فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صارم، فما يميّزها إذن حقيقتها غير الشكلية التي تجتهد في أن تكون شكلية، ولكن على الرغم من ذلك تبقى الحجج شبه المنطقية تعتمد البنى المنطقية مثل: التناقض، كما تعتمد الحجج شبه المنطقية العلاقات الرياضية مثل: علاقة الجزء والكل، وعلاقة الأصغر بالأكبر وغيرها.

من ثمّ فالحجج شبه المنطقية تشمل نوعين: الأول حجج شبه منطقية تعتمد البنى المنطقية كالتناقض، والتعددية، وحجج شبه منطقية تستند إلى العلاقات الرياضية كإدماج الجزء في الكل، وتقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له (صمودي، د.ت، ٣٢٥) و(الدريدي، ٢٠١١، ١٩١).

أمّودج: تقسيم الكل إلى أجزاءه

لجأ فضيلة الإمام في خطابه إلى تقسيم الكل إلى أجزاءه؛ إذ أجمل القول ثم قام بتفصيله؛ ومن أمثلة ذلك في الحلقة السادسة عشرة، يقول:

"أمور يشتدُّ فيها الخلاف الآن إلى درجة التحزب والانقسام؛ كالتفوي بحرمة حلق اللحية، أو فرضية النقاب ووجوبه، أو حرمة القيام للقادم، أو الرأي الذي يُروَّج له اليوم وهو: أن تعدد الزوجات من السنّة، أو أن عمل المرأة حرام، أو أن الطلاق بدون دواعٍ ضرورية لا حرج فيه شرعاً، وغير ذلك من الأمور التي رُوِّعت فيها بيئة عصر من العصور، وظروف زمانه ومكانه، ولم يراع فيها المقصد الشرعي العام."

فالكل (أمور يشتدُّ فيها الخلاف الآن إلى درجة التحزب والانقسام) فذكر فضيلته حجته إجمالاً، ثم فصل القول فيها إذ شملت: (حلق اللحية، ووجوب النقاب، وحرمة القيام للقادم. وأن تعدد الزوجات من السنّة، أو أن عمل المرأة حرام..) كما هم مذكور في النص. فكل جزء من هذا التفصيل يعد دليلاً على ما ذكره فضيلته أولاً.

من ثمّ؛ فقد سرد فضيلة الإمام حججاً متعددة؛ بغية بيان سماحة الإسلام ووسطيته، وإبراز أهم عوائق التجديد ألا وهو عدم التفرقة بين ما هو ثابت في الدين وما هو متغيّر. وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين (الشهري، ٢٠٠٣، ٤٩٤) إذ يقول: "فقد يذكر المرسل حجته كلياً في أول الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجائية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه."

٢- حجج تؤسس على بنية الواقع

الحجج التي تؤسس على بنية الواقع، تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها، وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلماً بها؛ إذ يجعل الخطاب الأحكام المسلم بها والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد، يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلم بالآخر، من ثمّ جاء وصفها بكونها حججاً اتصالية أو قائمة على الاتصال.

إنّ هذا النوع من الحجج لا تصف الواقع وصفاً موضوعياً، وإنما هي طريقة في عرض الآراء المتعلقة بهذا الواقع، ويمكن أن تكون هذه الآراء وقائع، أو حقائق، أو افتراضات. (صمودي، د.ت، ٣٣١-٣٣٢) وتشمل الحجج التي تؤسس على بنية الواقع: روابط المتتابع أو التعاقب، والغائية، وروابط التزامن والتصاحب.

هذا؛ ويتعدد الاتصال المتتابع وهو "الذي يكون بين ظاهرة ما وبين نتائجها أو مسبباتها" (صولة، ١٩٩٨، ٣٣٢) في الحلقة التاسعة عشرة يقول فضيلة الإمام:

"إن أخطر عقبات التجديد هي: فتاوى عتيقة لم تعد تنفع المسلمين اليوم، والتزويج لفتاوى ماجنة تصدر عادة إما من جهلاء بالإسلام وعلومه وتراثه، يقومون بدور معين مرسوم في تشويه مقدسات المسلمين، وإما من منتسبين إلى العلم يهون عليهم بيعه في سوق المنافع وبورصة المناصب والأغراض الدنيا."

عرض فضيلة الإمام في النص السابق أخطر عقبات التجديد، بوصفها ظاهرة مهمة وخطيرة، ثم عرض فضيلته مسيئاتها، التي تتمثل في:

- فتاوى عتيقة لم تعد تنفع المسلمين اليوم.

- والتزويج لفتاوى ماجنة...

يهدف فضيلة الإمام في الخطاب السابق إلى بيان أخطر عقبات التجديد، فيعدد صور التواصل؛ إذ يبنى الحجاج فيها على تتابع ثابت بين الظاهرة وأسبابها؛ ويحاول إقناع السامعين بمقصده، واستمالتهم لفكره، فلم يكتف بالتوجيه، بل قدّم الحجة؛ لإقناع السامعين، فتأتي الحجج المتتابعة عن طريق الاتصال التتابعي. فالرابط السببي، توّسل به فضيلة الإمام؛ لإثبات فكرته، وإقناع السامعين بمقصده؛ إذ ربط حججه على أساس الربط بين الظاهرة وأسبابها.

٣- حجج تؤسس بنية الواقع

الحجج التي تؤسس بنية هذا الواقع وتبنيه، أو على الأقل تكّمّله، وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه، أو تحلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات، وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكوناته، فتحدث فيها عن تقنيتين في الاستدلال المؤسس لبنية الواقع؛ وهما تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، والاستدلال بواسطة التمثيل. (الدردي، ٢٠١١، ٢٤٢)

استعان فضيلة الإمام في خطابه بحجج تأسيس الواقع بواسطة الحالة الخاصة، أعني استدلال بها وساقها؛ لبناء واقع عام من خلال حالة خاصة كالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية... ومن ذلك قوله في الحلقة الثامنة عشرة: "وبرغم أنّ الأزهر الشريف قد وُجّهت إليه في الآونة الأخيرة؛ همّة الجمود ورفض التجديد، فإنّي أوكدُ الله، ثم للتاريخ أنّ الأمر لم يكن أبداً كذلك.. بل إنّ الأمر كلّه كان بعكس ما قيل: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}"

إذ توّسل فضيلة الإمام بالشاهد القرآني الذي من شأنه تقوية التصديق، بقاعدة ما، وذلك بتقديم حالات خاصة، توضح هذا الطابع العام، وتقوي حضور هذا الكلام في الذهن؛ من ثم فالاستشهاد يكون للإيضاح، ولتقوية حضور الحجة، وجعل القاعدة المجردة حسية ملموسة. كما ورد في الآية الكريمة سالفة الذكر التي استعان بها فضيلة الإمام.

فعبّر الحجج التي تؤسس بنية الواقع - أعني الاستعانة بالشاهد القرآني - حاول فضيلة الإمام إقناع السامع بدور الأزهر الكبير في عملية التجديد؛ لما للنص القرآني من قوة إقناعية؛ نبعت من سلطته على القلوب والعقول، فعندما يذكره فضيلة الإمام يفحم خصمه، ويقنع المتلقي بفكره. "وينظر المرسل عند استعمال الآيات إلى دلالتها على قصده، بغض النظر عن سياق نزولها، وهذا ما يصطلح عليه الأصوليين بألفاظ العموم". (الشهري، ٢٠٠٤، ٥٣٩)

يؤكد فضيلة الإمام في برنامجه الرمضاني في الحلقة السادسة والعشرين على دور الأزهر في إبراز سماحة الإسلام، ونبذ العنف والتطرف، مستشهدًا بوقائع تاريخية، ومحدث الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيقول: ومما يزيد المتأمل في أحوالنا أسى وألمًا وحرزًا أن المذاهب التي تسفك حولها الدماء اليوم، عاشت قرونًا متطاولة متصالحة متآخية تحت عباءة الإسلام، أيام أن كان المسلمون يقادون بقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ".

فضيلة الإمام تذهب نفسه حسرات على ما أصاب أمة الإسلام من تعصب وتشدد، وأن الأمة الإسلامية عاشت متصالحة قرونًا طويلة، ويستدل على سماحة هذا الدين العظيم ونبذه للتطرف بمحدث الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليقنع المتلقي بفكره.

هكذا استعان فضيلة الإمام بالحجج التي تؤسس بنية الواقع -أعني بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف- لجذب السامع، وإقناعه بسماحة الإسلام ومؤسساته، ونبذه للتطرف بشتى صورته.

٤- الحجج التي تستدعي القيم

تهدف الحجج التي تستدعي القيم إلى فرض الرأي، وتسعى إلى إبانة الفرضيات على أنها حقائق لا لبس فيها؛ إذ تجبر السامع على اختيار ما، ولا تتورع عن استعمال التهيب والترغيب، وحمل الجميع على الإذعان اعتمادًا على حجج ذات سلطة فائقة، فيدخل الحجاج عندها، بسهولة فائقة إلى باب التوجيه، ويتحول الإقناع إلى هجوم يستهدف مناطق الخصم المعرفية، وعوالمه الشعورية والفكرية، ونعني بهذه الأشكال التي يتخذها الحجاج تلك القيم وتعتمدها. ويمكننا تقسيم القيم إلى ثلاثة أصناف يتواتر استعمالها في مجال الحجاج؛ أولها: قيم كونية، وثانيها: التزام مجردة، وآخرها: قيم فعل محسوسة. (الدريدي، ٢٠١١، ٢٧٠-٢٧١)

اعتمد فضيلة الإمام في خطابه على مجموعة من القيم الكونية ففي الحلقة الأولى من برنامجه الرمضاني ذكر منها قيمة الوسطية فيقول:

"«الوسطية» هي أهم خصائص رسالة الإسلام، وأولها بالتوضيح والبيان، ومن أجلها سُمِّيَ الإسلام: «دين الوسطية»، كما سُمِّيَ المسلمون بالأمة «الوسط»..» وجعلتها مرجعية، وسندًا في خطابها، لتقنع السامعين بفكرها".

في الحلقة السادسة يبرز قيم (اليسر والسماحة، ورفع الحرج والمشقة) يقول: "جوهر الشريعة الإسلامية ولبها هو: اليسر والسماحة، ورفع الحرج والمشقة، ومن هنا وجب على كل من يخاطب الناس في أي أمر من أمور هذه الشريعة، أن يراعي هذا المعنى الجوهري)

احتج فضيلة الإمام بمجموعة من القيم التي جاء بها الإسلام منها: وسطية الإسلام، ويسر الدين، وسماحته، ورفع الحرج. إن هذه القيم التي استعان بها فضيلته، هي محل إجماع من المجتمع، والأمة.

والسامع لحلقات فضيلة الإمام يجد أنها زاخرة بالحجج التي تستدعي القيم والبراهين، والتي اختارها فضيلته؛ لإبرازه دور الأزهر ودفاعه عن الدين الإسلامي، وهي مستمدة من قيم المجتمع الإسلامي والعربي بل والعالمي -أيضًا-؛ ليقنع المتلقين، ويستميلهم لمقصده، إذ إن الإقناع فيها يتحوّل إلى هجوم يستهدف مناطق المعاند المعرفية.

٥- حجج استدعي المشترك

الخطابات الحجاجية تتجه نحو استدعاء المشترك، أي الاستناد إلى ما يُشكّل موضوع اتفاق بين المتلقين، أو يمثّل جملة من المعارف المشتركة الشائعة بينهم ذلك أنّ للمشارك سلطته على النفوس؛ إذ إنّها تدعّن لما اعتادت عليه، أو لكل ما استدعي ما اعتادت عليه، وتنفر مما يخالف ما عرفته ويجانب ما آمنت به وصدّته. وبهذا نفهم لماذا يقع التصدي لكل جديد على الأقل في بدايات ظهوره وانتشاره، فهو يستهجن؛ لأنه يزعزع قداسة القديم، ويقاوم؛ لأنه يربك النظام المعرفي السائد، ويهدد سلطة المشترك في حين يشكّل استدعاء المشترك ركيزة مهمة من ركائز الحجاج به يقنع المحتج لمبدأ أو فكرة متلقية أو يحمله على الإذعان لما ورد في خطابه. (الدردي، ٢٠١١، ٢٨٧) ومن أمثلة المشترك بوصفه وسيلة للإقناع المثل "قال الفارابي: المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم، وفأهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع... وقال المرزوقي في شرح الفصيح: المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلّة بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول". (السيوطي، ١٩٩٨، ١ / ٣٧٤)

للأمثال طاقة حجاجية، فإلى جانب اشتهاها بالتداول، نجد ما يتضمنه المثل من التقليد والتمثيل.

لقد استعان فضيلة الإمام بالمثل في الحلقة الثامنة، إذ يقول: "من القواعد الكلية التي تشهد بسماحة هذه الشريعة ويسرها ومرونتها قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وهي لا تقتصر على حدود التكاليف الشرعية الفردية فحسب، بل تمتد لتشمل أهم مقاصد الشريعة في حياة الناس، من أجل الحفاظ على الوحدة والنظام والتماسك الاجتماعي".

هذه القاعدة التي استدلت بها فضيلة الإمام مأخوذة من حديث نبويّ (لا ضرر ولا ضرار) ذاع وانتشر هذا الحديث حتى صار مثلاً يضرب، فنفي الضرر أولاً، ثم نفي الضرر بعد ذلك، إذ نفي الضرر في الشريعة، وأتبعه بالنهي عن إضرار العباد بعضهم بعضاً. فالإسلام يؤكّد على معاني الرحمة، والسماحة، والتيسير، والمرونة...

تأتي إمكانية المثل الحجاجية؛ لكونه خلاصة تجارب الأمم؛ فيعد من أقوى وسائل الإقناع، فتواتر المثل الذي استعان به فضيلة الإمام في التعبير عن دور الأزهر في إبراز سماحة الإسلام ويسره. فخطاب فضيلة الإمام ربط بين المثل الذي يمثّل حالة سابقة، يبسر الإسلام وسماحته ومرونته، الذي يمثّل حالة حاضرة، من ثمّ يبرز القياس بين الحالتين؛ ليصل فضيلته إلى إقناع السامع بفكره، وإفحام خصمه.

عرضنا في الصفحات السابقة، للتكرار، والآليات المنطقية التي استعان بها الإمام الطيب في عرض فكره الذي يبرز دور الأزهر في تجديد الخطاب الديني.

هذا؛ وقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج أُجملها في النقاط التالية:

١. كان للأزهر الشريف دور بارز في تجديد الخطاب الديني، عبر العصور، وبخاصة في خطابات الدكتور/ أحمد الطيب.
٢. الحجاج في خطاب فضيلة الإمام هو التواصل؛ بغية الإقناع.
٣. التأثير اللغوي يبرز عبر الصيغ اللغوية المتعددة، ومن أهمها: التكرار.
٤. تتوالى التأكيدات اللفظية، والمعنوية - في خطاب فضيلة الإمام - عن طريق التكرار بصورة منتظمة؛ هدفها إقناع المتلقين؛ بما للتكرار من آلية في نتاج المعنى، فالتكرار يساعد على إقناع المتلقين كافة باختلاف مستوياتهم الفكرية، والعقلية.
٥. تنوعت آليات الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده) في خطاب فضيلة الإمام، فوجدنا: آليات اجتماعية ونفسية، وآليات لغوية، وآليات بلاغية، وأخرى منطقية.
٦. تُعد الوسائل المنطقية من أهم الأدوات لعملية الإقناع، التي استعان بها فضيلة الإمام أثناء طرح خطابه؛ بغية إكسابه طاقة حجاجية، وتنوعت إلى خمسة أصناف هي: حجج شبه منطقية، وحجج تؤسس على بنية الواقع، وحجج تؤسس بنية الواقع، وحجج تستدعي القيم، وحجج تستدعي المشترك.
٧. برزت شخصية فضيلة الإمام من خلال وسائل الإقناع التي استعان بها؛ أنّها شخصية مؤثرة، قوية، عقلانية، تعتمد على حسن منطقتها، وتملك ثقافة واسعة، وحجة ساطعة، استطاع بها استمالة المتلقين، وإقناعهم؛ فأدعوا إليه.

المصادر والمراجع

١. الدريدي، س. (٢٠١١) الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه"، ط ٢ أربد-الأردن: عالم الكتب الحديث.
٢. السيوطي، ج. (١٩٨٦) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، صيدا-بيروت: المكتبة العصرية.
٣. الشهري، ع. (٢٠٠٤) إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ط ١ لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
٤. صمودي، ح. (د.ت) الحجاج عند أرسطو أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.
٥. صولة، ع. (١٩٩٨) الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكان، تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، بإشراف حمادي صمودي، ص ٢٩٧-٣٥٠.
٦. صولة، ع. (٢٠٠٨) الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، ط ٢ بيروت-لبنان: دار الفارابي.
٧. لوبون، ج. (د.ت) روح الاجتماع، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، مصر: المطبعة الرحمانية.